﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ١٠٤﴾ [الشعراء: 104]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

بعدَ أنْ خَتَمَ البيانُ القرآنيُّ الآيةَ السّابقةَ ببيانِ أنَّ أكثرَ الذين شهدوا من إبراهيمَ الدَّلائلَ والبراهينَ، أو الذين سمعوه من قوم النبيِّ ﷺ لم يُؤمنوا؛ أتبَعَ ذلك بما فيه تسليةٌ للنَّبيِّ ﷺ بألّا يبتئسَ من ذلك، فإنَّه تحت عنايةِ ربِّهِ ورعايتِهِ سبحانه، العزيزِ على من لا يؤمنُ منهم، الرَّحيمِ لمن آمنَ.

بعدَ بيانِ أكثريَّةِ المكذِّبين مِن قومِ النَّبيِّ أو إبراهيمَ أتبعَهُ بتسليةٍ لخاتمِ النَّبيين

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿ٱلۡعَزِيزُ﴾: (عزّ) أَصْلٌ صَحيحٌ واحِدٌ يَدُلُّ على شِدَّةٍ وقوَّةٍ وما ضاهاهُما، مِن غَلَبَةٍ وقَهرٍ[1]، والعِزُّ في الأَصل: القوَّةُ والشِّدَّةُ والغَلَبَة، خِلاف الذُّلِّ[2]، يُقال: عَزَّ يَعَزُّ - بالفتح للمُضارع - إذا اشتَدَّ وقَوِيَ، وبالكسر للمُضارع؛ إذا قَوِيَ، وامتَنَع، وبالضَّم؛ إذا غَلَب وقَهَر[3]، والعَزيزُ: الَّذي يَقهر ولا يُقهر، وسُمّي بِهِ؛ لِغَلَبَتِه على أهلِ مَملَكَتِه، والعَزيز أيضًا: من صِفات اللّٰهُ تعالى وأسمائِه الحُسنى، قالَ الزَّجّاج: هوَ المُمتَنِعُ، فلا يغلبُهُ شيءٌ، وقالَ غيره: هوَ القويُّ الغالِبُ كلَّ شَيْءٍ، وقيل: هو الَّذي لَيْسَ كمِثلِهِ شيءٌ[4].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

استأنفَ البيانُ القرآنيُّ القولَ ببيانِ قدرةِ اللّٰهِ سبحانه الظّاهرة، وحكمتِه الباهرة، فقال سبحانه تسليةً لرسولِهِ ﷺ وتطمينًا له: وإنَّ ربَّك - أيُّها الرَّسولُ الكريمُ - لهو الغالبُ على أمرِه، والقادرُ على

تسليةُ النبيِّ ﷺ ببيانِ قدرةِ اللهِ الظّاهرةِ وحكمتِه الباهرةِ

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (عز).
(2) الأزهريّ، تهذيب اللغة، وابن منظور، لسان العرب، والزَّبيدي، تاج العروس: (عزز).
(3) النّحاس، معاني القرآن: 1/ 379.
(4) الرّاغب، المفردات، والزّبيدي، تاج العروس: (عزز).

كلِّ ما يريد، وسينتقمُ لك من هؤلاء المكذِّبين على تكذيبهم بكَ، وإشراكهم بي، وعبادتهم للأوثان والأصنام، وهو ذو الرَّحمة بعبادِه فلا يُعاجِلُهم بعذابِه، ومِن رحمتِه أنَّه يُرسِلُ رُسُلًا، ويُنزِلُ معهم ما يُبيِّنُ به ما يُرضيه، وما يُسخِطُه، فلا يُهلِكُ قومًا إلّا بعْدَ إعذارِهم، ومِن رحمتِه أنَّه يُنجي أتْباعَ رُسُلِه[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

معنى الواوِ ودلالتُها في: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ﴾:

(الواو) في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾ استئنافيَّةٌ، استأنفَ اللّه تعالى القولَ ببيانِ قدرتِه الظّاهرةِ، وحكمتِه الباهرةِ، فقال: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾[2]، أو عاطفةٌ، والمعطوفُ عليه جملةُ: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ﴾[3]، بجامعِ التَّناسبِ اللفظيِّ بينَ الجملتَين اللَّتَين ابتدأَتا بالتَّوكيد، أمّا الأولى؛ فتوكيدُ اللّهِ لعظمةِ العِبَرِ في قصَّة إبراهيمَ، وأمّا الثّانيةُ؛ فتوكيدُ عزَّةِ اللّهِ ورحمتِه.

بـيـنَ اسـتـئـنـافٍ يـبـيِّـنُ قـدرةَ الـلـهِ الـظـاهـرة وحكمتِه الباهرةَ وعـطْـفٍ يجمعُ بينهما

فائدةُ تتابعِ المؤكِّدات في الآية:

أَكَّدَ البيانُ الإلهيُّ عزَّةَ اللّهِ ورحمتَه في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾ بعدَّةِ مؤكِّدات[4]، وهي: اسميَّةُ الجملةِ التي تدلُّ على الثُّبوت والدَّوام، و(إنَّ) مع اللام المزحلقة ﴿لَهُوَ﴾ التي تفيدُ توكيدَ مضمونِ الجملةِ، وتعريفُ جُزْأي الجملةِ الذي يفيدُ القصْر، والإتيانُ بضميرِ الفصْل، فإنَّه يقوّي هذا القصْرَ في الجملة، وتعدُّدُ الخبرِ ﴿ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾، والتَّعبيرُ عنهما بصيغةِ المبالغةِ (فعيل)، فهذه المؤكِّداتُ مجتمعةً دلَّتْ على المبالغةِ في تأكيدِ كمالِ هذين

المبالغةُ في تأكيدِ اتِّصافِه سبحانَه بالعزَّةِ والرحمةِ اطمئنانٌ لأوليائِه وتهديدٌ لأعدائِه

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 6/ 136، والبقاعيّ، نظم الدّرر: 14/ 60 - 61، والمراغيّ، تفسير المراغي: 19/ 49، والسّعدي، تيسير الكريم الرّحمن، ص: 592.

(2) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 10/ 5362.

(3) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 7/ 97، والهرري، حدائق الرّوح والريحان: 20/ 271.

(4) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 10/ 5362.

الوصفينِ للّه تعالى، أي: كمالِ عزَّتِهِ وكمالِ رحمتِه سبحانه، ومَن كانتْ هذه صفاته؛ فهو قادرٌ على نصرةِ أنبيائِه ورسلِه، ومعاقبةِ الكافرين الجاحدين بهم، ورحيمٌ بمنْ آمن به، وصدَّق رسلَهُ، وفي هذا التَّأكيد منه سبحانه مزيدُ اطمئنانٍ لأوليائه، وتهديدٍ ووعيدٍ لأعدائِهِ المنكرين الجاحدين.

علَّةُ التَّعبيرِ بالربِّ في قوله: ﴿رَبَّكَ﴾:

عنايةُ اللهِ بنبيِّهِ تقتضي تسليةَ قلبِهِ وحثَّ المخاطَبين ألّا يُقابلوا النِّعمةَ بالكفرِ

عبَّرَ البيانُ القرآنيُّ بلفظِ الرُّبوبيةِ في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾، دونَ الألوهيَّة؛ لكونِ الرُّبوبيَّةِ أعمَّ وأشملَ من الألوهيَّة، وأنسَبَ لمقصودِ الآية، وهو تسليةُ النبيِّ ﷺ؛ إذ الربوبيَّةُ تعني: الملك والتَّربية والرِّعاية والعناية والإحسان والعطاء، أي: أنتَ - يا حبيبَ اللّهِ - في رعايته وعنايته، فلا تبتئس بكفرِ أكثرِهم، كما أنَّ الرُّبوبيَّةَ تستلزمُ من المخاطَبين شكرَ اللّهِ بتوحيدِهِ وطاعته، لا الكفرَ بهِ، كما أنَّ في استعمالها مناسبةً للسّياقِ الذي وردَ فيه ذكرُ عطاءاتِ اللّه على لسانِ إبراهيمَ عليه السلام: ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٧٧ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ۝٧٨ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ۝٧٩ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ۝٨٠﴾ [الشُّعراء: 77 - 80].

نوعُ الإضافةِ ودلالتُها في قوله: ﴿رَبَّكَ﴾:

من إكرامِ اللهِ وتشريفِه للنَّبي محمد ﷺ حمايتُه من كيدِ المشركين

إضافةُ الرُّبوبيَّةِ إلى كافِ الخطابِ في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾، والمخاطَبُ فيه رسولُ اللّه ﷺ - إضافةُ تشريفٍ للنبيِّ ﷺ وتكريمٍ، وفيها إشارةٌ إلى تسليةِ النبيِّ ﷺ؛ لما يلاقيه من قومِه، والوعدِ بحفظِه والعنايةِ بشأنِه، فاللّهُ ربُّه القريبُ منه، الذي خلقَهُ، وقام بربوبيَّته، يرعاهُ، ويدبِّرُ له أمورَه لحمايته من كيدِ المشْركين[1]، وذلك في سياقِ الحديثِ عن كُفرِ أكثرِ المخاطَبين مِنْ قريش بقوله: ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾.

(1) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 10/ 5362.

نكتةُ التَّذييلِ بـ ﴿ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾:

منتقمٌ بإهانةِ مَنْ جحَدَ وأصرَّ، رحيمٌ بإعانةِ مَنْ وحَّدَ وأقَرَّ

في تذييلِ قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ١٣٣ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾ بالاسمين الجليلين ﴿ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾ مناسَبةٌ لمضمونِ الآية؛ لأنَّه لَما كان المفهومُ من قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ أنَّ الأقلَّ من قومِهِ آمنوا، وأنَّ أكثرَهم كفروا؛ ناسبَ أنْ يأتيَ بوصفي العزيز الرَّحيم؛ للإشارةِ إلى أنَّ العزَّةَ والقهرَ والغلبةَ على مَنْ لا يؤمنُ منهم، والرَّحمةَ لَمَنْ آمن، فهو سبحانه المنتقمُ بإهانةِ من جَحَدَ، وأصَرَّ، الرَّحيمُ المنعمُ بإعانةِ مَنْ وحَّدَ، وأقَرَّ[1]، القادرُ على تعجيلِ الانتقام، الرَّحيمُ بالإمهال؛ إذ لم يُهلكهم، بلْ أخَّرَ ذلك، وأرسلَ إليهمُ الرُّسلَ، ونَصَبَ لهمُ الشَّرائعَ؛ ليؤمنوا بها هم أو ذريَّتُهم[2]، "أي: مع كونهم لم يؤمن أكثرهم، فاللَّهُ تعالى هو العزيزُ الذي لا يُغلَب، وإنَّما يَغْلِبُ، ومع عِزَّته تعالى فهو رحيمٌ بعباده يفتحُ بابَ التَّوبةِ لمن تاب"[3].

دلالةُ التَّعريفِ في قوله: ﴿ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾:

اللهُ الجامعُ لكلِّ عزَّةٍ ورحمةٍ

اللامُ في الاسمين الجليلين ﴿ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾ للاستغراقِ، أي: تفيدُ استغراقَ الوصفِ في كلٍّ منهما، فهو الجامعُ لكلِّ عزَّةٍ ورحمةٍ، فالعزَّةُ والرَّحمةُ - في الحقيقةِ - كلُّها لَهُ.

سرُّ غيابِ العاطفِ بين ﴿ٱلۡعَزِيزُ﴾ و﴿ٱلرَّحِيمُ﴾:

كمالُ رحمتِه لا تقلُّ عن كمالِ عزَّتِه

لم يأتِ البيانُ القرآنيُّ بين الاسمين الجليلين ﴿ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾ بعاطفٍ؛ لأنَّ الرَّحيمَ خبرٌ ثانٍ[4]، بما يفيدُ المبالغةَ في تأكيدِ كمالِ رحمتِه سبحانه، وأنَّها لا تقلُّ عن كمالِ عزَّتِه.

(1) النّسفي، مدارك التّنزيل: 2/ 574.
(2) المراغيّ، تفسير المراغيّ: 19/ 79.
(3) الشّعراوي، خواطر الشّعراوي: 17/ 10616.
(4) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 7/ 102.

دلالةُ صيغةِ فعيلٍ في: ﴿ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾:

عبَّرَ البيانُ القرآنيُّ عن الاسمَيْن الجليلَيْن في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾ بصيغةٍ على وزنِ (فعيل)، وهي من أبنيةِ المبالغة؛ للدَّلالة على كمالِ عزَّتِهِ سبحانه، وكمالِ رحمته، فهو سبحانه شديدُ الانتقام من أعدائه الكافرين به الجاحدين المكذِّبين بالرِّسالات، وشديدُ الرَّحمةِ بأوليائِه المؤمنينَ به المصدِّقين لرسلِهِ، وفي ذلك تطمينٌ للمؤمنين، وتهديدٌ ووعيدٌ للمشركين.

المبالغةُ في تأكيدِ كمالِ عزَّتِه سبحانه وكمالِ رحمتِه تطمينٌ للمؤمنين وتهديدٌ للمشركين

سرُّ اقترانِ الاسمين: ﴿ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾:

يدلُّ كلٌّ مِنَ الاسمين الجليلين ﴿ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾ على الكمالِ الخاصِّ الذي يقتضيه كلٌّ منهما، وهو كمالُ العزَّةِ في اسمِ الله ﴿ٱلۡعَزِيزُ﴾ وكمالُ الرَّحمةِ في اسم الله ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾، واقترانُهما دالٌّ على كمالٍ آخر، وهو: أنَّ عزَّةَ الله سبحانه مقرونةٌ بالرَّحمةِ، فهو مع عزَّتِه يَفْتَحُ بابَ توبته، لا يُعاجلُ بالعقوبةِ بل يُمهل.

مع عزَّتِهِ سبحانه يَفْتَحُ بابَ توبتِه ورحمته

قد قدَّم القرآنُ اسمَ العزيزِ على اسمِ الرَّحيم؛ لكونِهِ أنسبَ للسّياقِ قبلَهُ، وهو قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ﴾، فقلَّةُ المؤمنين يُناسبُها اسمُ العزيز، والمقامُ مقامُ تهديدٍ للكافرين، فناسَبَ أنْ يُقدَّمَ اسمُ العزيز الذي يدلُّ على انتقامِهِ من الكافرين، وأنْ يُؤخَّرَ اسمُ الرّحيم الذي يدلُّ على رحمتِهِ بأوليائه؛ مواساةً للنبيِّ ﷺ وتطمينًا له، ولِمَنْ آمن معه.

في التَّقديمِ مناسبةٌ للسّياقِ والمقامِ

بلاغةُ الكنايةِ في الآية:

تتجلّى الكنايةُ في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾ باستخدامِ صفتي ﴿ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾ اللَّتين تعبِّران عن قوَّةِ الله ورحمتِه، ولكنَّهما في الوقتِ ذاته تعطيانِ معنًى أعمقَ، فـ﴿ٱلۡعَزِيزُ﴾ يشيرُ إلى أنَّ اللهَ هو المنتقمُ من أعدائه، و﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ يشيرُ إلى أنَّه

القادرُ على الانتقامِ، الرَّحيمُ بالإمهالِ سبحانه وتعالى

رحيمٌ بأوليائه[1]، أو أنَّ أحدَهُما يشيرُ إلى أنَّه القادرُ على تعجيلِ الانتقام، والآخرُ يشيرُ إلى أنَّه الفاعلُ فِعْلَ البليغِ الرَّحمة، فهو يمهلُ، ويدرُّ النِّعم، ويحوطُ من النِّقم[2]، رحيمٌ بالإمهال؛ إذ لم يُهلكهم، بلْ أخَّرَ ذلك، وفتحَ لهم بابَ التَّوبة؛ ليتوبوا[3]، وهذا يعكسُ الجانبين مِنَ اللّه القوَّةَ والعدالةَ والرَّحمةَ والرَّأفةَ، وفي هذين الوصفين إنذارٌ وتبشيرٌ؛ لأنَّ العالَم يقومُ على المساواة بين الخير والشَّرِّ، ولكلٍّ موضِعُهُ[4].

نكتةُ التَّكرارِ في الآية:

خطابٌ كريمٌ من ربٍّ رحيمٍ إلى خاتمِ المرسلينَ يثبِّتُ به قلبَهُ الرحيمَ

تكرَّرت هذه الآية: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾ في سورة الشُّعراء ثماني مرّاتٍ، وفي كلِّ مرَّةٍ تأتي بعد قصَّةٍ من قصص الأنبياء، بما يعزِّزُ الرِّسالةَ التي تحملها الآيةُ من عِبرةٍ واحدةٍ تُستخلصُ من كلِّ قصصِ الأنبياء، ويعطيها أكثرَ قوَّةً وتأثيرًا، وهذه الرِّسالةُ هي: خطابٌ كريمٌ، من ربٍّ رحيم، يوجِّهه الحقُّ سبحانه وتعالى إلى خاتمِ أنبيائِهِ ورسلِهِ، مُذكِّرًا إيَّاهُ أنَّ اللّهَ لأعدائه بالمرصاد، ولأوليائه بالرَّحمةِ والإمدادِ، كما أنَّ خَتْمَ الآيةِ بوصفِه تعالى بالعزَّةِ والرَّحمة بعد كلِّ قصَّة فيه كلُّ المناسبةِ للحديثِ عن مصيرِ الكافر والمؤمن في كلِّ زمان، فهو عزيزٌ يعاقب الكافر، ورحيمٌ بمن آمن[5]، وفي هذا تثبيتٌ لقلبِ النَّبي ﷺ وقلبِ أصحابِه والمؤمنين في كلِّ زمانٍ، قال تعالى: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾﴾ [هود: 120].

(1) النّسفي، مدارك التّنزيل: 2/ 574.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 14/ 46.
(3) المراغيّ، تفسير المراغيّ: 19/ 79.
(4) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 10/ 5375.
(5) النّاصري، التّيسير في أحاديث التّفسير: 4/ 362.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد التاسع والثلاثون،
سورة الشُّعَراء من الآية 96 إلى سورة النَّمْلِ الآية 25
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد التاسع والثلاثون، سورة الشُّعَراء من الآية 96 إلى سورة النَّمْلِ الآية 25
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 39 ، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-84-6
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 39 : المجلد التاسع والثلاثون، سورة الشُّعَراء من الآية 96 إلى سورة النَّمْلِ الآية 25.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-84-6
*
إذن طباعة رقم:MC-03-01-8468153 بتاريخ 2024/12/16م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»